

# الجمعيات الثقافية والفكر المقلب

فهذه اللغة، وان تناقضت الآراء في ما بينها تبقى التعبير الإرقى، وان تفاوتت وجهات نظرها فأهدافها فكرية غير شخصية، فلا خلاف ولا صراع في حضور الفكر وإنما حوار ومناقشة. فالفكر ما كان يوما حكرًا على احد ولا اسير الجمودا ولذا مهما تعددت لغته وتنوعت، يبقى للتعددية هذه هوية واحدة، هوية يحملها كل انسان هي هوية الانفتاح على الآخر...!

نحن بحاجة إلى من...! يحول الهالة البشرية الطاغية إلى هالة انسانية، فيتطلع ويعمل في ضوء الفكر الانساني النبيل، لا الفكر المتقوقع! «من...؟ انت وهو وهي... فالتغيير يبدأ اولا وأخيرا بثورة الفرد على نفسه ضد التقاليد البالية، الفئوية، العنصرية، التبعية الخ... ولا سبقي الثقافة ضحية الجهل والفكر سجين التعصب والانغلاق... «(صلح نفسك يسطح العالم» قول ماثور، فيه اشارة واضحة بأن تحول المجتمعات إلى اوطان والعالم يبدأ من الأفراد، من الانسان نفسه... فاعل، ادراكنا لحاجة مجتمعاتنا إلى التحول والتغيير يدفعنا للبدء بثورة فردية فكرية، ان كنا فرادا في مجتمع، في مؤسسة، في جمعية، او في اي مكان آخر.

لا شك بأن التاريخ بمجمله صنع من قبل الانسان، وانما تبقى محطاته الخالدة نتاجا من ابداع الفكر الحر، المتجدد والمنفتح. فإن شئنا أو أنينا، جمعيات كنا، ام مؤسسات ام افرادا مواكبة الانفتاح البناء والفكر الهادف، من المهم ان نعي ويعي معنا من لا يزال غارقا في التقوقع، بأن الفكر الحر لا يحصر بزمان ولا يقيد بمكان...!

نابغة ذبيان

لا شك بأن عددا كبيرا من ابناء هذا الوطن، بات يتساءل ما اذا كان لبنان حقا بلد الانفتاح والفكر الحر كما اطلق عليه... اذ ان واقع معظم مراكزه الثقافية يشير إلى فكر مقلب وانفتاح مزيف. وفي حين اننا نعمل على الجمعيات الثقافية للقيام بنهضة اجتماعية وعلمية، نرى ان معظمها سار ويسير في ركب تيار الفوقية الفكرية...!

هذا ما تبين من خلال تجارب شخصية، حيث اتضح لي وكان غالبية الجمعيات الثقافية أصبحت خاضعة هي الاخرى «للخصخصة»... ان من ناحية المواضيع التي يتوجب عليها طرحها وان من جهة «المحاضرين» الذين يفرضون عليها او يفترض الالتزام بهما (ربما بضغط من الممولين لتلك الجمعيات او تحت تأثير «الواسطة»، او لان الجمعية مسيسة او تابعة لتنظيم معين). خلاصة القول، هي تبعية هذه الجمعيات لفئات او اشخاص تأتي الانفتاح مؤثرة الانغلاق... واطاعة نفسها بحكم من يخشى مواجهة افكار الآخرين، ولعل مرد ذلك يعود لعقم فكري يفاضل المحدودية على الشمولية... وان كان بعض المسؤولين في هذه الجمعيات يؤازرون الحرية الفكرية وإنما ما زالوا قاصرين عن التحرك خارج حدود التبعية، فلهؤلاء نقول، ان الحرية الفكرية ليست نظريات او تمنيات او شعارات وإنما عمل فعلي وممارسة هادفة، هي مبدأ لا يساق وفكر منفتح على مده الايجابي.

للجمعيات الثقافية المنفتحة على كل التيارات الفكرية دور مهم ولعله الاهم في رفع مستوى الوعي العام، ان على صعيد تحمل مسؤولية تثقيف المجتمع، وان من خلال صهر فئاته الاعمق شردمة والاكثر تعددية، صهرها بغية ايصالها للتخاطب بلغة واحدة، هي لغة الادراك السليم والحوار البناء...